

المسلسل التونسي «الفونديو».. تشويق أربكته لامنطقية الأحداث

الدرامي في تونس، الأمر الذي جعل بطل العمل نضال السعدي يتخلّى عن تقديم برنامج الأسبوعي "نهار الأحد ما بهمك في حد" الذي تبثه القناة ذاتها العارضة لـ"الفونديو"، لأجل التفرع لإتمام العمل، فانتت النهاية مرتبكة إلى أبعد حد وإن أكر طاقمه ذلك كبرا وخيلاء.

كما حفلت الحلقات الأخيرة من المسلسل باللامنطقية في الطرح، خاصة بعد مقتل "ريم" (سهير بن عمارة) على يد قريبها "مراد" (محمد علي بن جمعة) الذي ظلت تحوم حوله الشكوك كونه القاتل الفعلي لمريم، خاصة وأن دوافعه كثيرة لقتلها، وهو المصدّر الذي أقيم علاقة غير شرعية مع تلميذته المراهقة، لتحمل منه وتهذبه بكتشف أمره إن لم يتزوّجها.

لتظل ريم طوال عشرين عاما وهي التي اكتشفت سرهما الدفين بالصدفة، تعاني لوعة إخفاؤها لهذا السر الذي راح ضحيتها حبيبها يحيى بتسترها عن هذه العلاقة "المحرّمة" التي جمعت قريبها مراد بزيميلتها في الدراسة مريم. ومع ذلك بدا قتل ريم من قبل قريبها مراد غير مبرر على خلفية أنه كان يخاف اكتشاف أمره وهو المتحرش بتلميذته التي حملت منه، ليعلن ليحيى أنه أقرق ريم خوفا من اكتشاف أمره بعد أن أعلنت الأخيرة نيتها الزواج من يحيى المصّر على تبّرع الجاني كلفه ذلك ما كلفه، وهو الذي كان كل همه الحفاظ على أسرته وزوجته، فإيهما أظفَع تسببه في حمل فورا غضة في فورة شباب عابرة، أم ارتكابه وهو الكهل الناضج لجريمة قتل مع سابعية الإضمار والترصد، كي لا يُفضّح سرّه، وقد افتضح؟

النهاية المخيبة للتطلعات في «الفونديو» أملت لها للمرة المئة إكراهات اللحاق بالموسم الرمضاني وضيق وقت التصوير

كما أن تأخر يحيى في الذهاب مباشرة إلى حارس الفيل الذي أرسل في طلبه ليعترف له بالقاتل الحقيقي قبل أن تداهم المنية. غير منطقي بالمرة، وهو المتلف لمعرفة حقيقة الجاني، ليسبقه إليه سليم ويقتله، ومن ثمة تتوارى قتل مريم، ولو عن طريق الخطأ، وبدون تعدد بعد أن اكتشفت الفتاة المقولة حالة السرقة التي حدثت في بيت عائلة سليم بتواطؤ بين الفتى وحارس الفيل، ليضعها معا في سيارة يحيى الذي شرب حتى الإغماء ليلتها، بعد أن أهانت حبيبته مريم، أو من كان يتخيل أنها تحبه، في حين أنها استغلّت نباهته ومساعدته لها في الدراسة ممّا مكّنها للحصول على شهادة البكالوريا، لتتخلّى عنه إثرها، وهكذا توارى في جريمة قتل لم يرتكبها.

وبعيدا عن لامنطقية الأحداث التي حفل بها المسلسل، إلا أن العمل على هئاته، على مستوى النص خاصة، ومبالغته في استعمال اللقطات "الكلون أب" (مشهد مقرّب) بموجب أو دونه، تطرّق ولو قليلا إلى موضوع خريجي السجون وما ينتظرهم من معاناة في السجن الأكبر لمجتمع لا يرحم من زلت به القدم، ولا يمنحه فرصة ثانية للانطلاق من جديد.



صابر بن عامر
صحافي تونسي

تونس - بحساب لعبة الأرقام وقياس نسب المشاهدة تفوق المسلسل التونسي "الفونديو" الذي عرضته قناة "الحوار التونسي" الخاصة في الموسم الرمضاني 2021 باشواط على منافسيه "أولاد الغول" و"حرقرة" والمسلسل التونسي الجزائري المشترك "مشاعر 2" على الترتيب، رغم إجماع الصحافيين والنقاد على تميّز مسلسل "حرقرة" للمخرج الإسعد الوسلاني بطرحه الجريء لقضية إشكالية تناولت بمشاهدة بصرية موجهة نصا وإخراجا وأداء هجرة الشباب التونسي والمغربي والأفريقي إلى الضفة الأخرى من المتوسط على مراكب الموت.

ورغم كل ما تقدّم تمكّن "الفونديو" عن سيناريو وإخراج لسوسن الجميني من افتتاك صدارة المشاهدات، على امتداد حلقاته الخمس الأولى على الأقل بنسبة فاقت الـ47 في المئة، قبل أن يسقط من عليائه بتعمّده إطالة الأحداث وتمطيظها بلا هدف، عدا إشارة غرائز بعض المراهقين الذين يرون في "البطلجة" والفحولة الكاذبة تعويضا عن إمكانية تحقّقهم في مجتمع تداعى بشكل مُنهج ثقافيا وقيما منذ ثورة الـ14 من يناير 2011، وما بعدها.

وتجلى ذلك من خلال المُبالغة في إبراز شهامة البطل "يحيى" (جسد دوره نضال السعدي) مع أصدقائه ومحيطه العائلي، مع التأكيد على تكويريته الطاغية وعشق الجميلات له، رغم مكوثه لنحو عقدين كاملين في غياهب السجن بتهمة قتله للصبية "مريم".

وهذه الحادثة، أي جريمة القتل الغامضة للصبية مريم، هي مرتبط الفريس في المسلسل الذي شوّق متابعيه على امتداد 21 حلقة لمعرفة الجاني الحقيقي، بعد إنكار يحيى الصريح لعدم إقراره الجريمة التي جعلته يقضي نذوة شبابه البافع بين القضبان، ساعيا بعد خروجه من السجن للكشف عن ملبسات الحادثة التي ثبت أن صديقه "سليم" (ياسين بن قمر) هو من اقترفها بتواطؤ مع حارس الفيل/ مسرح الجريمة.

ومن هناك بدت النهاية مخيبة لنسقية الحكاية التي انطلقت قوية ومشوّقة بعقدة البحث عن الجاني الحقيقي في دراما تلفزيونية شغلت الشارع التونسي على امتداد الموسم الرمضاني المنقضي، بل ومئات صفحات التواصل الاجتماعي بهاشتاغ "شكون قتل مريم؟" (من قتل مريم؟)، لتغدو جريمة القتل المتخيلة تلك بمثابة قضية أمن قومي في مجتمع يمرّ بأعنف أزماته الاقتصادية منذ الاستقلال وإلى اليوم.

ومهما يكن من أمر النهاية التي أتت متسرّعة ومفتوحة تنبئ بإمكانية إنتاج جزء ثان من المسلسل في الموسم الرمضاني القادم، وهي عادة جُبلت عليها قناة "الحوار التونسي" باستمرائها نجاح المسلسلات الأجزاء، وإن انتهت "الخراصة" في "الفونديو" بالكشف عن الجاني الفعلي، فالنابث أن النهاية المخيبة لتطلعات المُشاهدين في العمل أملت لها للمرة المئة إكراهات اللحاق بالموسم الرمضاني، وما يتبعه في كل عام من ضيق وقت التصوير، وكان رمضان يأتي فجأة ودون سابق إعلام لدى غالبية العاملين في القطاع الذي تعرّضت له من قبل طبنجة.

وتقول شربنجي عن أداء معمار في مشهد فقد الإبن "إنها كتلة من الإحساس، وكنت متأكدة أنها ستقدم مشهدا كبيرا سيدفع الناس للبكاء، وهذا ما كان فعلا".

وظهر خالد القيش في شكل جديد بشخصية غازي بيك المتفطرس القاسي، والتي مثلت محور النشر في العمل، وحفل المسلسل كذلك بأداء مزن قذّمته العديد من الشخصيات التي كان ظهورها مكتملا للشخصيات الأساسية كما في مساهمة عبدالهادي الصباغ ونادين خوري وإمارات رزق ويزن الخليل ورامز عماللة وفادي صبيح وشكران مرتضى وندين تحسين بك وجرجس جبارة وإيمان عبدالعزيز وعلي سكر ورهف الرحني ومرح هاندة يبتعد فيها ولو مؤقتا من صخب أحداث العمل وصدامات الشعراني وآخرون.

«حارة القبة» يرسم شكلا جديدا في دراما البيئة الشامية

قراءة متخيلة لحرب السفربرك وتدايعياتها على الحارة الدمشقية



حكايات تمتد على مساحة خمسة أجزاء

الحياة فيه ليجد عندها الراحة والحكمة، وفي كسر للنمطية التي كان من الممكن أن ينجّر إليها العمل، تخرج شربنجي هذه الشخصية من كينونتها الروحانية الهادئة وتجعلها في نزوة حالة الصدام، وهي تتصارع جسديا مع "طبنجة" الشريين، وتنتهي الصراع بان يقتل طبنجة أبو الأحلام ويدفنه في باحة بيته في أواخر مشاهد الجزء الأول من المسلسل وفق نزوة درامية بالغة التشويق. وبالتالي باتت هذه الشخصية من أوائل الشخصيات التي تخرج من مشهديات الأحداث.

كذلك قدّمت شخصية عادل (يامن الحجلي) الذي اقتيد إلى حرب السفربرك قسرا من قبل جنود الاحتلال العثماني، وعاد منها بعد سنوات باساق واحدة. فالخروج لم تكتف بتقديم معلومات عن أنه سافر للسفربرك ثم عاد بعد غياب، بل قدّمت بعض تفاصيل حياة الشخصية لترصد معاناتها في المعتقل والظلم الذي واجهته من قبل العثمانيين، وكذلك المخاطر التي أحاطت به في رحلته نحو خلاصه ومن ثم وصوله إلى أهله.

وحقق العمل حضورا جماهيريا متصاعدا، وأوجد حالة من التشويق الدرامي التي وفرها النص وكذلك الشكل الإخراجي الموظف والحضور القوي لعدد من الممثلين الذين كرسوا مكانة متميزة لهم في الموسم الرمضاني الماضي. فتشخصية أبو العز التي قدّمها عباس النوري حققت حضورا كبيرا في العمل وهو المتمرس بأعمال البيئة الشامية.

وهي شخصية صاحبة الق خاص في المسلسل، وتمثل ثقلا دراميا كبيرا ومؤثرا في تحريك الخط الدرامي نحو دلالاته ومآلاته، قدّمها النوري بناسيايية والتزان وكان ظهوره متغيرا حسب مقتضيات الحالة الدرامية فتلّون بالعديد من الحالات الانفعالية التي تمايزت في شححات عاطفية متداخلة مع شخصيات موازية، أهمها شخصية أم العز (سلافة معمار) خاصة في مشهد فقدوا لابنها الصغير أو مشهد التحرش الذي تعرّضت له من قبل طبنجة.

وتقول شربنجي عن أداء معمار في مشهد فقد الإبن "إنها كتلة من الإحساس، وكنت متأكدة أنها ستقدم مشهدا كبيرا سيدفع الناس للبكاء، وهذا ما كان فعلا".

البياسمين" الذي أخرجته سمير حسين ومثل فيه غسان مسعود وسلاف فواخرجي ومحمد حدادقي، وناقس فيه بقوة على أهم جائزة عالمية في دراما التلفزيون حينها، وهي جائزة الأيمى ووردن، يبدو أنه كان معنيا بتقديم صيغة درامية تتلاقى إبداعيا مع تطلعات المخرجة شربنجي لتقديم الجديد والمختلف.

وهي المخرجة التي ارتبط اسمها بالعديد من المسلسلات التي حققت حضورا هاما ومتابعة جيدة من قبل الجمهور، سواء منها الكوميديّة "كانون ولكن" أو الاجتماعية الحارة "غزلان في غابة الذئاب" الذي عالج موضوعة الفساد وحقق جماهيرية كبيرة، علاوة على مسلسلها الشهير "الولادة من الخاصرة" وأيضا "تحت شرقي"، كما قدّمت مسلسل "أسعد السوراق" في استعادة ثانية له بعد إنجازها في أوائل السبعينات، وبرتت أيضا في إخراج العديد من الأعمال الدرامية في مصر.

وتبدو شربنجي في أولى تجاربيها الإخراجية لدراما البيئة الشامية شغوفة بتقديم أسلوب جديد بالتناغم مع كاتب العمل كوكش، تجلّى ذلك في العديد من الملامح، منها غياب أو تقليص حضور شخصيات كانت تعتبر جزءا أكيدا وقويا في خارطة أي عمل دراما بيئة شامية، مثل الزعيم والعكيد والمختار والداية ورئيس المخفر والشيوخ.

كذلك كان واضحا عناية شربنجي بخلق حالة تشويق عالية لدى المشاهد، ففي كل حلقة تقدّم تصاعدا دراميا يذهب بالأحداث إلى منطقت أعلى وقد حققت ذلك من خلال بنية مونثاجية وفرت صيغة رشيقة ومشوّقة، كما ركّزت على دور المرأة ومحورية وجودها في الحياة العامة من خلال شخصيات كانت روافع درامية قوية في العمل كتشخصيات أم العز وسهيلة وغندورة.

شخصيات إشكالية من التجديدات التي تحسب لطاقت العمل وجود شخصية حملت بعدا روحانيا شفافا، هي شخصية أبو الأحلام (محمد حدادي) الذي جاء إلى الحي منذ فترة طويلة وعاش في المهقى الذي يمتلكه أبوسمير (عبدالهادي الصباغ). وأبو الأحلام شخص وحيد يعرف كل أهل الحي ويعرفونه، وهو رجل صالح يتجول ليلا ليوزع الخبز على بيوت الفقراء وهو يمسك بعصاه الكبيرة مرددا جملة تلازمه "دمعك يا عين بطني جزك يا روح" التي ظهرت في شارة العمل وكذلك في البنية الموسيقية المرافقة للأحداث.

تميّز الدراما السورية بتقدمها العديد من الأشكال الفنية التي حققت من خلالها حضورها القوي على مساحة الدراما العربية، ومن أهم الأشكال التي يميّز بها الإنتاج السوري هو شكل دراما البيئة الشامية التي تحرص قنوات العرض التلفزيونية العربية على تقديمها بشكل دائم. وهذا الشكل الدرامي المخصوص لسوريا حاز على نصف ما قدّمته دراما البلد في الموسم الرمضاني الماضي، ومن هذه الأعمال مسلسل "حارة القبة" الذي قدّم شكلا جديدا في دراما البيئة الشامية.

نجح المسلسل في إيجاد بيئة مختلفة تشكّل حراكا دراميا يخلق حالة من التشويق لما هو أعيد، فالنتيجة كما رسمها طاقم العمل أفرزت شكلا مختلفا لمدينة دمشق في أوائل القرن الماضي، تحديدا أثناء حرب السفربرك، ومنطقة إلى جوارها تبعد مسافة ساعتين سفر، المجاورة بشكل متخيّل. ووجود هذه البيئة المختلفة ونيلها حصّة كبيرة في مساحة الحدث، حمل جديدا في إظهار شكل أعمال البيئة الشامية، فظهر العمل في بيئتين مختلفتين متوازيتين على امتداد حلقاته، ودرجت العادة في الدراما العربية أن يلجا إلى تقديم أجزاء عديدة من مسلسل ما، في حال نجاح الظهور الأول، وهذا ما كان سابقا في أعمال البيئة الشامية وغيرها، مثل مسلسلات "باب الحارة" و"عطر الشام" و"طوق البنات" و"صبايا" و"يوميات مدير عام" و"يوميات جميل وهناء" .. ولكن هذه العملية تبدو غالبا قسرية وغير انسيابية، فليجا الكاتب وطاقم العمل إلى لي عنق الأحداث واختلاق حلول درامية لا تقدّم بالضرورة نتائج درامية منطقية، الأمر الذي دفع بأقلام النقد الفني لتوجيه سيل من الاعتراضات عليها.

إلا أن الأمر اختلف في "حارة القبة"، حيث يؤكد طاقمه بأنه مؤلف أصلا من خمسة أجزاء، أي ما يقارب المئة وستين حلقة، وهم لا يخشون مسالة لي عنق الحكاية، لأن العمل أعد أساسا على أنه مؤلف على هذه المساحة من العرض. وبين كاتب العمل أسامة كوكش أنه وزّع شخصياته على كل المساحة، فلكل جزء شخصه وأحداثه وأجوائه، إذ سيشهد المسلسل مع كل جزء خروج شخصيات ويخول أخرى، وبالتالي خطوط درامية متنوعة ومتداخلة ومتغيرة.

ويقدّم مسلسل "حارة القبة" خروجاً عن نمط أعمال البيئة الشامية، فواضح أن التناغم الإبداعي بين كاتب المسلسل ومخرجه قد أتاح الفرصة لتقديم عمل كسر حالة التقليدية في هذا الشكل الفني. فإضافة إلى وجود البيئة الاجتماعية المختلفة الموازية التي كانت مظهرها واضحا في التغيير، فإن العمل قدّم حالات تجديدية واضحة منها كسره للحالة هيمنة العديد من الشخصيات النمطية.

فأسامة كوكش مؤلف العمل الذي قدّم منذ سنوات مسلسل "بانتظار



نضال قوشحة
كاتب سوري

دمشق - تتماهى عوالم السياسة والحرب والحب والحزن والشجع والقسوة وحتى الروحانيات في مسلسل "حارة القبة"، لتكون خلفية متنوعة لمجموعة من السرديات الحكائية التي تقدّم خطوطا درامية تتصارع وتتقاطع فيها القيم والمصالح بشكل عنيف وصارخ. والمسلسل الذي ألفه أسامة كوكش وأخرجته رشما شربنجي وتصدت لإنتاجه "شركة عاج" ينهج في رسم أحداثه خط المتخيّل، فهو يقدم خلفية تاريخية ليظهر من خلالها خطوطه الدرامية، ولا يقدم حالة توثيقية محدّدة.

القطع مع المألوف

حفل "حارة القبة" بنسج معقد من الشخصيات والأحداث التي شكّلت خروجاً عن مألوف ما تعودت تقديمه دراما البيئة الشامية في أعمالها، فالسلسل لم يقدم بيئة منغلقة كما هي العادة، بل ذهب في حالة نادرة نحو خارج الحارة التقليدية، فوجد منطقة قريبة سماها "ظهر الجبل"، وهي حالة مختلفة عن بيئة مدينة دمشق المحافظة.

فهناك نمط حياة مختلف، وتحديدا في ما يخص عالم المرأة التي تظهر في مجرى الأحداث بقوة، وتبدو صاحبة شأن وقرار تجالس الرجال في شؤون الحياة العامة، وتظهر بنفسها لمتابعة أعمالها اليومية.



رشا شربنجي تنجح في الخروج بالعمل من بيئة دمشق المحافظة لتعلي من قيمة المرأة ودورها الاجتماعي